

صورة الآخر في خمس رحلات إلى باريس

The Other's Image in Five Trips to Paris

صراح سكيانة تلمساني* (1)

المدرسة العليا للأساتذة العلامة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيم الميلي الجزائري، بوزريعة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: tlemsanisarah.sakina@ensb.dz

تاريخ النشر: 2025/12/26	تاريخ القبول: 2025/12/03	تاريخ الإرسال: 2025/04/25
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص

يعدّ أدب الرحلة واحداً من أكثر الأجناس الأدبية التي نجد فيها استحضاراً لصورة الآخر، ذلك أنّ صاحب الرحلة ينتقل إلى بيئة مختلفة عن بيئته الأصلية، ويصوّر مظاهر الاحتكاك بين ثقافتين أو ثقافات مختلفة.

يزخر الأدب الجزائري بنماذج من رحلات انتقل أصحابها إلى بلدان وأماكن مختلفة، وسيكون نموذج دراستنا خمس رحلات جزائرية لخمس شخصيات مختلفة جمعها المؤرخ "علي تابليت" في كتاب واحد. القاسم المشترك بين هذه الرحلات أنها كانت إلى وجهة واحدة وهي باريس، وكُتبت في مراحل زمنية متقاربة يحكمها السياق الاستعماري فهذه الأعمال كتبت في مرحلة كانت الجزائر تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، وقد عكست هذه الرحلات حالة الهوس بالثقافة الغربية، والانبهار بالحضارة الأوروبية.

الكلمات المفتاحية:

الآخر، أدب الرحلة، علم الصورة، الدراسات المقارنة

الملخص باللغة الأجنبية :

Travel literature is one of the literary genres that most frequently depicts the image of the other. This is because the traveler travels to an environment different from his or her original one, depicting the interaction between two or more cultures. Algerian literature abounds with examples of travels whose authors have traveled to different countries and places. Our study will focus on five Algerian journeys by five different

* المؤلف المرسل

figures, collected by historian Ali Tablit in one book. The common denominator among these journeys is that they were directed to a single destination, Paris, and were written during close periods governed by the colonial context. These works were written during a period when Algeria was under French occupation. These journeys reflected an obsession with Western culture and a fascination with European civilization.

Key words : Other ; Travel literature; Imagology; Comparative studies.

1. مقدمة:

يعد أدب الرحلة جنسا أدبيا كغيره من الأجناس الأدبية الأخرى، إلا أن ما يميّزه أنه يجعلنا ننفتح على ثقافات مختلفة، ونتعرّف على حضارات متباينة. لقد انتشر أدب الرحلة في الأدب العربي في القرنين التاسع عشر والعشرين "لأنه من أهم الفنون التي صوّرت احتكاك العربي بالغرب، وما نجم عن هذا الاحتكاك من مؤثرات صدمت الذهنية العربية والمجتمع العربي، وأدت إلى صراع سياسي واقتصادي وفكري وحضاري لا يزال من الأسباب التي تقلق الهوية العربية حتى اليوم"¹

هذا ما يجعلنا نذهب إلى أنّ أدب الرحلة ليس مجرد وصف لمناطق جغرافية جديدة، ولا تعريفا بحضارات مختلفة عن الكاتب فحسب بقدر ما هي جنس أدبي يتضمّن أنساقا ثقافية مضمرة، وعن عناصر سيطرة كامنة في الخطاب الرحلوي وعلاقتها الممكنة بالفكر الاستعماري²

نحاول أن يجيب مقالنا على عدد من الإشكاليات والتساؤلات مثل:

كيف رأى الجيل الأول الذي وصل إلى الغرب أزمته الحضارية؟

كيف كانت انطباعاتهم عمّا شاهدوه في رحلتهم؟

كيف نظر أصحاب الرحلات إلى الآخر الفرنسي؟

هل احتوت نصوص الرحلات الخمس صراعا فكريا وحضاريا؟

وقبل الشروع في تحليل الرحلات ارتأينا أن نقدّم لمحة عن المقولات الأساسية لعلم الصورة باعتباره المنهج الإجرائي الذي اعتمدناه في تحليلنا للنصوص.

2. مفاهيم أساسية حول علم الصورة:

يعد علم الصورة مجالا من المجالات التي يهتم بها الأدب المقارن، إنه مجال شهد ازدهارا ملحوظا في السنوات الأخيرة، ويتّسم بالانفتاح على ثقافات أجنبية مختلفة.

تتجه الدراسات المقارنة في الوقت الراهن إلى الاهتمام بعلم الصورة لما يتميز به هذا العلم من تسليط الضوء على الصور الثقافية وكيف تتحول الصورة من مجرد كونها انطبعا شخصيا ومجرد عناصر اجتماعية إلى مخيال اجتماعي.

تظهر أهمية الصورة في مجال الدراسات المقارنة في أنها تعبّر عن أشياء متعلّقة بالثقافة النازرة: الأنا، والثقافة المنظور إليها: الآخر ناهيك عن كونها: "إعادة تقديم واقع ثقافي يكتشف من خلاله الفرد والجماعة الذين شكّلوه أو الذين يتقاسمون أو ينشرونه وبترجمون الفضاء الاجتماعي والثقافي والإيديولوجي والخيالي الذي يريدون أن يتموضعوا ضمنه"³

يقوم علم الصورة على عنصرين ثقافة ناظرة وثقافة منظور إليها، وهذه الصورة تتشكل حسب الخلفية الفكرية والدينية والإيديولوجية للأنا، أي أنه تتحكم عدة عوامل في تشكيل الصورة وتحديدّها. وإذا أردنا الحديث عن أنماط الصورة ووضعياتها فإننا نجد أنّ منظري هذا الاتجاه والمشتغلين في حقل الدراسات المقارنة قسّموا وضعيات الصورة إلى ثلاث وضعيات أو أنماط وهي: الهوس والرّهَاب والتسامح أو ما يُسمى أيضا بالتآلف. كل وضعية من هذه الوضعيات تعكس حالة معينة فنجد أنّ الهوس ولع شديد بكل ما هو أجنبي، وهو ناتج عن إحباط شديد من الوضعية الحضارية المزرية للأنا، فنجد مثلا كثيرا من فلاسفة الأنوار في فرنسا كانوا مهووسين بالفلاسفة الإنجليز، كما أن عددا معتبرا من المثقفين العرب الذين هاجروا إلى الغرب أمثال "رفاعة الطهطاوي" و"طه حسين" و"قاسم أمين" جسّدوا أعمالهم فكرة الهوس نظرا للموقف السلبي الذي اتخذوه من ثقافتهم القومية.

أمّا الرّهَاب فهو عكس الهوس، ومن خلاله نجد أن الثقافة الأجنبية تُؤخذ على أنها ناقصة ودونية نتيجة الإعجاب المفرط وأحيانا المرضي بالثقافة القومية، ونجد هذه الوضعية منتشرة بشكل كبير في كتابات بعض الرّحالة الغربيين الذين صوّروا الشرقي عموما والعربي والمسلم خصوصا تصويرا نمطيا. أمّا الوضعية الثالثة فهي وضعية التآلف أو التسامح وهي وضعية وسطى بين الرّهَاب والهوس يمكن أن نعتبرها معتدلة لأنّ الثقافة النازرة تنظر إلى الثقافة المنظور إليها "الأجنبية" نظرة معتدلة.

يدرك القارئ للأعمال الأدبية والمتنّع للساحة النقدية أنّ "الآخر" يتجسد في عدد من الأجناس الأدبية على غرار الرواية والقصة إلا أنّ أكثر الأجناس الأدبية التي يحضر فيها الآخر هو أدب الرحلة لأنّ هذا الجنس الأدبي من أهم القنوات التي تعرض صورة عن الآخر، لأنّ الرحالة ينتقل من موطنه وبلده إلى مناطق مختلفة عن ثقافته يتعرّف على شعوب مختلفة، وينقل فضاء مختلفا ومغايرا لفضائه الأصلي، كما أن هذا الجنس الأدبي من أكثر الأجناس الأدبية التي تصوّر احتكاك ثقافتين مختلفتين، كما أن أدب الرحلة هو الذي يعرّف ثقافة ما بثقافات أخرى مختلفة عنها.

وإذا أردنا الحديث عن ثقافتنا العربية فإنّ: "أدب الرحلة لعب دورا في تعريف بعض العرب بالحضارة الأوروبية، وفي نشر ما نجم عن الاحتكاك بالغرب من أفكار ومبادئ ونظم جديدة عملت على التأثير في المجتمع العربي تدريجيا"⁴

إن خير ما يجسّد هذه الفكرة الرحلات التي أردنا دراستها من خلال هذا المقال، وهي خمس رحلات جزائرية إلى باريز جمعها الدكتور "علي تابليت"، وهذه الرحلات ل: "سليمان بن صيام" و"محمد السعيد بن علي الشريف" و"أحمد ولد قاضي" و"محمد شعبان المدعو مصطفى" و"محمد بن الحسن بن الشيخ الفنون". ما يميّز هذه الرحلات أنها ليست رحلات كبيرة الحجم على غرار الرحلات القديمة، إلا أنها تقدم معلومات قيمة مقارنة بالمرحلة التي كُتبت فيها، كما أنها كلها كانت رحلات إلى فرنسا. إنّ أصحاب الرحلات المذكورين سابقا يُعتبرون من الجيل الأول الذي وصل إلى الغرب وتحديدا باريس.

القاسم المشترك بين هذه الرحلات أنها اتجهت إلى باريس وفي فترات زمنية متقاربة، كما أن أصحابها من الأعيان وعلية القوم فمثلا "سليمان بن صيام" آغا مليانة وهو من أغنياء ومتقفي أسرته وينحدر من أسرة لها حضور سياسي قوي، ونجد أن: محمد السعيد بن علي الشريف" من أشراف الأدارسة، كما أن سيدي الحاج بن محمد الشيخ الفكون ينتمي إلى أسرة الشيخ الفكون القسنطينية والتي تعد من أعرق وأرقى العائلات في تلك الفترة ناهيك عن كونها كانت أسرة اكتسبت مكانتها باعتبارها عائلة مشائخ الإسلام في القرن السادس عشر.

كُتبت الرحلات المذكورة في مرحلة زمنية متقاربة في القرن التاسع عشر، وأصحاب الرحلات تم تعيينهم من قبل الإدارة الفرنسية في الفترة الاستعمارية، وبغض النظر عن توجهاتهم الإيديولوجية وعن ولائهم للسلطة الاستعمارية فإن هذه الرحلات تعكس توجه جيل بأكمله كان مهووسا بالغرب ومنبهرًا به إلى درجة الذوبان فيه، وإلى حد انتقاد ثقافته المحلية. ونخص بالذكر هنا "باريس" في هذه الفترة التي كانت حاضرة وبحكم أن الجزائر في هذه الفترة كانت تحت وطأة الاحتلال الفرنسي فإنّ أصحاب الرحلات في هذه المرحلة كان في حكم المغلوب، وعلى حد تعبير "ابن خلدون" فإنّ المغلوب دائما مولع بتقليد الغالب.

إنّ هذه الرحلات مثال عن اتصال المثقفين العرب بالحضارة العربية، وهذا الاتصال انتشر بشكل كبير بعد حملة نابليون على مصر إضافة إلى البعثات التي قام بها محمد علي باشا. لقد مكّنت هذه الرحلات العرب من التعرّف على الثقافة الغربية والحضارة الأوروبية.

إنَّ الرحالة الخمسة، موضوع دراستنا، بزيارتهم لباريس عملوا على وصف المظاهر الحضارية والمدنية، ومعلوم من سياق الرحلة أنها تمت دعوتهم من قبل السلطات الفرنسية لحضور احتفالات على شرف ملك فرنسا.

كانت هذه الرحلات في سنوات مختلفة تمتد من سنة 1852 إلى 1901، فمثلا رحلة "سليمان بن صيام" إلى بلاد فرانسة كانت سنة 1852 وهي نفس السنة التي كانت فيها رحلة "محمد السعيد بن علي الشريف" إلى باريز، فقد ترافق الرجلان، في حين كانت رحلة "أحمد ولد قاضي" صاحب رحلة "الرحلة القادية في مدح فرنسة وتبصير أهل البادية سنة 1878. وأمّا رحلة "محمد بن الشيخ الفكون القسنطيني" صاحب رحلة "الوفد الجزائري من رؤساء العرب ورحلتهم إلى محروسة باريز" سنة 1901.

إن هذه الرحلات صغيرة الحجم إذا ما قورنت برحلات جزائرية أخرى مثل رحلة "ابن قنفذ القسنطيني" أو رحلة "ابن حمادوش الجزائري"، إلا أنه لا يمكننا تجاهل أنّ هذه الرحلة تضمنت العديد من الأنساق المضمرّة، وعكست وضعية وحالة الهوس التي كان يراها الجزائري أثناء زيارته لفرنسا، فباريس وقتئذ كانت حاضرة، والجزائريون الذين سافروا إلى هناك لم يتمكنوا من إخفاء مشاعر إعجابهم وانبهارهم بالغرب إلى درجة الهوس واحتقار الذات.

كما سبق وأن قلنا فإن أدب الرحلة من أكثر الأجناس الأدبية التي تجسّد صورة الآخر، كما أنّ الرحلة تسهم في خلق مخيال عن الثقافة الأجنبية، وتتدخل عدة عناصر إيديولوجية وسياسية ودينية في تشكيل صورة عن الآخر.

إنَّ القاسم المشترك بين هذه الرحلات أنها تتدرج ضمن سياق حضاري عام وهو تفوّق أوروبا وتمييزها بالمدنية، وهذه الأمور أسهمت في تشكيل صورة عن الآخر الفرنسي في مخيلة الجزائري.

نبدأ برحلة "سليمان بن صيام" إلى بلاد فرانسة، وهي أقدم الرحلات من الناحة التاريخية مقارنة بالرحلات الأخرى سنة 1852. تظهر الصورة الهوسية والانبهار بالغرب منذ مطلع الرحلة، إذ إن هذه الرحلة كانت بعد دعوة من السلطات الفرنسية لعينات من الجزائر قصد حضور المعرض الدولي بباريس.

تبدأ رحلة "سليمان بن صيام" بشكر الله بتغنّ ومدح مبالغ فيه وبتعظيم لنابليون بونابرت، ووصفه بأسمى السمات والنعوت قائلا:

"إنّي أمشي لرؤيا أرض الشمال ذات المحاسن العديدة والكمال، أمرني من يجب عليّ امتثال أوامره وهو والي قطر دايرة الجزائر وقطبه صاحب الرأي السديد، والجود الذي ليس فوقه من مزيد البطل الهمام

والأسد الصّرعام سعادة السيد القبر نور راندون لازال من ربّه بعين العناية ملحوظا ومن شرّ حسّاده محميّا محفوظا" ⁵

يظهر بوضوح تذلل "سليمان بن صيام" للآخر الفرنسي وذلك من خلال وصفه بصفات ترفعه إلى مقام الأبطال.

تبدأ رحلة "بن صيام" من "مليانة" نحو "الجزائر، ومن ثمّة التوجه إلى باريس. يظهر إعجاب الكاتب بالمدينة الغربية، وبأمر متعلّقة بالحضارة المادية التي لم تكن معهودة في الجزائر نحو القطار الذي لم يسمّه أصلا بل وصفه بأنه كرّوسة من حديد وفي داخلها آلا ومركبات دخان ما تقطعه في ساعة واحدة لا يقطعه فارس في أقل من يوم. ⁶

يبدو من خلال هذا المقطع انبهار الكاتب بالقطار الذي لم يكن موجودا وقتئذ في البيئة العربية، ومن ثمّة ينتقل إلى مدينة مونبولي ويلتقي بوالي هذه المدينة ويزوره في قصره أين ينبهر بشكل أكبر بشكل القصر والبساتين، ويمرّ بمدينة أفينيون التي لم يتوان عن التعبير عن إعجابه المفرط بها خاصة لما وصف إحدى الكنائس ولم يصرّح بأنها كنيسة بل وصفها بأنها دار معدة لاجتماع البابصات وأهل العلم في الدين المسيحي" ⁷

تتواصل الرحلة مروراً بمدن أخرى وصولاً إلى أكبر المدن والتي يظهر انبهار الكاتب بها وهي مدينة ليون فيقول:

"دخلناها فوجدناها من أعظم المدن وأجودها وفي وسطها واد عليه قناطر من حديد لم تر العيون مثلاً ولا سمعت الأذان بشبهها" ⁸

يظهر هنا انبهار الرحالة بالمدينة الغربية ويظهر ضمناً شعوره بالفرق الشاسع بين حضارة الغرب وحضارة الشرق في هذه المرحلة، ويتواصل انبهاره بمدينة باريس التي انتقل إليها هي الأخرى بعد إتمامه زيارة ليون:

"قلماً رأيتهما وجدتاه أحسن مما وصفها الوصّافون، ولا يمكن لأحد أن يستوعب محاسنها ولو أقام السنين" ⁹

ينبغي أن نأخذ في الحسبان أنّ سياق الرحلة كان سنة 1852، وهي مرحلة شهدت فيها باريس تشييداً معمارياً كبيراً ناهيك عن الطرقات الواسعة والحدائق الشاسعة، الشيء الذي يكن مألوفاً في البيئة الجزائرية وقتئذ، وهذا ما أدّى إلى انبهار ابن صيام بهذا الشكل. إنه يبدو في موقف الإنسان المنبهر

المذهول أمام ما رآه من مظاهر البناء والتشييد والمدنية، وأثناء الانتقال من ليون إلى باريس يمرّ بكنيسة يصف بإعجاب كبير ودهشة من الرّخام والمرمر المصنوعة منه.

في الواقع أنّ انبهار "سليمان بن صيام" لم يتوقف عند الانبهار بالطابع العمراني والحضاري لفرنسا بل طال وصف ملك فرنسا، إنه إعجاب يفوق الوصف، انبهار بالآخر إلى درجة الهوس والولع بهذا الأجنبيّ فما هو يصفه:

"نذكر الآن بعض ما اتصف به سيدنا المعظم ملك دولة فرنسا المنصورة على سبيل الاختصار نقول هو سلطان كبير فرع سلطان بالعدل والشجاعة شهير، ذو قدر جليل خطير، شهرته أغنى عن الوصف، وفخره لا يحتاج إلى إيضاح ولا إلى كشف فارس مضمار، وبطل وغى... وهو المعظم الأنجد سيدنا لوي نابليون أطل الله مدّته وأدام سعادته" ¹⁰

إن هذا الوصف لملك فرنسا بشكل مبالغ فيه وكأنه من القادة المسلمين الفاتحين أمثال "طارق بن زياد" و"صلاح الدين الأيوبي" وغيرهما وليس محتلا، فكما ذكرنا سابقا أن هذه الرحلة كانت سنة 1852 وهي مرحلة كانت قد احتلت فيها الجزائر من قبل فرنسا.

من خلال هذا المقطع تتجسّد وضعية الهوس بالآخر إلى درجة الانبهار به.

ونمر الآن إلى "رحلة محمد السعيد بن علي الشريف" إلى باريس سنة 1852، لقد كانت هذه الرحلة في نفس السنة مع الرحلة المذكورة سابقا لابن صيام، فقد ترافقا في سفرهما، وتجدر الإشارة إلى أن "محمد السعيد بن علي" من أشرف الأدارسة استوطنت عائلته زاوية منذ قرون، بنى جده زاوية شلاطة التي أصبحت مركزا مشعّا في زاوية وخارجها، وكان لمحمد السعيد طلبة ومريدون أوائل القرن التاسع عشر، ووقد ولّاه الفرنسيون منصبا إداريا وتعلّم الفرنسية وأصبح لاحقا من الأعيان واستقبله نابليون الثالث ومنحه وسام الشرف، وسافر إلى باريس سنة 1852 ¹¹

بدأ الكاتب رحلته بحمد الله والثناء عليه بطريقة مسجوعة لا تخلو من زخرف. يرى الكاتب أنّ لفرنسا فضلا عظيما على الجزائريين، إذ يقول

"قالحمد لله على هذه النعم الشاملة والخيرات المترادفة التي كانت لها هذه الدولة سببا وكثيرا ما شهدنا من إحسانها لنا، وجلب المنافع لعامتنا، أي عامة المسلمين، لسعيها في مصالح تعلم الصبيان، حيث جعلت لهما مدارس عظيمة" ¹²

أي انبهار هذا بالآخر، حيث تحوّل الفرنسي المحتلّ إلى صاحب فضل على من احتلّه واستوطنه أرضه ونهبها، إذ يعلم القاصي والداني أنّ فرنسا لما دخلت الجزائر كان السواد الأعظم من الشعب الجزائري يتقن القراءة والكتابة، وبعد خروجها سنة 1962 أصبحت نسبة الأمية تفوق التسعين بالمائة نظرا لسياسة التجهيل التي اعتمدها، وحتى المدارس التي يتغنى بها صاحب الرحلة فإنها كانت لخدمة الأجندة السياسية لفرنسا. إنها مدارس عملت على إقصاء اللغة العربية، وجعلت من هذه المدارس وسيلة من وسائل السيطرة على الجزائريين لإدراكها أنّ الهيمنة العسكرية وحدها وما يتبعها من قمع وتعذيب غير كافية لإرضاخ الجزائريين، فحاولت أن تشتغل على الجانب الثقافي والتعليمي، الشيء الذي جعلها تقصي التعليم الديني واللغة العربية، واستبدلها بالمدرسة الفرنسية الموضوعية أصلا لخدمة أجندتها.

إنّ القارئ لرحلة "محمد السعيد بن علي الشريف" يلمس تلك الدهشة في كتاباته عنها، وهي تلك الدهشة نفسها التي نلمسها في كتابات المؤرخين والرحالة في الفترة الزمنية نفسها، أي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إنّ القارئ لهذه الأعمال والمتعمّن في الأنساق المضمرّة فيها يرى حالة القابلية للاستعمار التي كانت تعاني منها تلك الشعوب، فأصحاب هذه الرحلات التي ندرسها القاسم المشترك بينهم أن أصحابها كانوا يرون أنفسهم أقل منزلة من الآخر الأوروبي تغزوهم عقدة النقص اتجاه هذا الآخر المحتلّ بأنه سبقهم أشواطاً في عالم الحضارة والمدنية، "لقد شاهدوا واقع المجتمع الغربي وشعروا بالفرق الشاسع بينهم وبين مجتمعهم الشرقي في المضمار السياسي والاجتماعي والعلمي"¹³

فها هو ينتابهم ذهول من الطابع المعماري الفرنسي:

"قدمنا إلى بستان البايليك المسمّى جردان دبلانط الذي لم يخلق مثله في سائر الأقطار عدا الزمان المتقدّم، ولا وقفنا على خير مثله في الدنيا قطّ، وفيه ما لا يصفه الواصفون، ولا يحزره الكاتبون"¹⁴

إنّ هذا التصوير من قبل الرحالة ينقل لنا مشاهداته للبساتين والحدائق الموجودة في بلاد فرانسة، على حد تعبيره، وهذا تصوير يبيّن مدى إعجابه بهذا المعمار وهذه المدنية.

ونمر الآن إلى رحلة "سي محمد بن الحسين بن الشيخ الإسلام" "سيدي الحاج محمد الفقون"، ولد سنة 1867 بقسنطينة، حفظ القرآن الكريم في زاوية أسرته، أجاد اللغة الفرنسية، ينتمي إلى عائلة كبيرة العدد تولّى إدارة شؤونها، كان عضواً في المجلس الأعلى للجزائر، وفي كل اللجان البلدية، كان مساندا لفرنسا حيث جمع أكبر عدد من المتطوعين للدفاع عن فرنسا عشية الحرب العالمية الأولى¹⁵

بدأت رحلة "محمد بن الشيخ الفكون" سنة 1901، وهي الرحلة الموسومة: "الوفد الجزائري من رؤساء العرب ورحلتهم إلى محروسة باريز"، بعد أن دعتهم الدولة الفرنسية لحضور احتفال جيوشها لدى حليفها قيصر روسيا.

يبدأ الكاتب بوصف الرحلة التي شرع فيها متجها من خلال مركب بخاري متجها إلى مرسيليا أين مكثوا يومين ثم اتجهوا إلى العاصمة باريس. صوّر من خلال الرحلة حفاوة الاستقبال التي حظي بها هو والوفد المرافق له من قبل الوالي العام والقبطان المكلف بتنظيم أمور سفرهم، ثم انتقلوا إلى مدينة رانس وهناك حضروا الاحتفال العظيم والعرض المهيّب الذي أقيم لهم.

جاء في نص الرحلة:

"الدولة الفرانصوية الجمهورية من حسن سياستها وكمال نيتها لم تحرم رؤساء رعاياها المسلمين الجزائريين من التشريف بذلك الاحتفال فدعاهم مثل أبناء وطنها وأحسنّت إليهم وأكرمتهم غاية الإحسان والإكرام"¹⁶

يظهر من خلال هذه المقولة مدى ثقة الكاتب في الفرنسي، إذ يرى أنها صاحبة نوايا حسنة، إلى درجة أن يتساوى المسلمون الجزائريون بالفرنسيين، وكلنا يعلم أن هذه الفكرة غير صحيحة إلى حدّ بعيد ففرنسا عملت على تهميش الجزائريين بشكل كبير، وقرّبت منها فئة قليلة تخدم مصالحها وتوجهاتها.

4. خاتمة:

على الرغم من أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال إهمال أهمية هذه الرحلات فهي جزء لا يتجزأ من الأدب الجزائري، وتمثّل إنتاجا أدبيا يعكس مرحلة هامة من تاريخ الجزائر، وتعكس في الوقت ذاته العلاقة بين ثقافة الشرق والغرب، إلّا أنه لا يمكننا أن نغفل أنّ أصحاب هذه الرحلات غلبت على نظرهم للآخر الوضعية الهوسية، فالآخر بالنسبة لهم دائما محطّ تعظيم وتبجيل وإعجاب مفرط إلى درجة احتقار الذات، والانتقاص من قيمة الثقافة القومية.

نرى أن السبب وراء هذا حضاري خاصة إذا ربطنا النص المدروس بالسياق التاريخي والسياسي، إذ إنّ هذه الرحلات كُتبت في مرحلة كانت الجزائر فيها تحت وطأة الاحتلال، أي أن الفرنسي الذي هو الآخر في موضع القوة، كما أنه نستشف من خلال هذه الدراسة مدى خطورة أدب الرحلة الذي يمكن أن يكون غير بريء إلى حد بعيد لأنها تخدم المشروع الاستعماري من خلال رسمها صورا نمطية وقوالب جاهزة عن أبناء المستعمرات وعن السكان الأصليين، أسهم أصحاب الرحلات موضوع الدراسة في تغذيتها ودعمها والترويج لها.

5. الهوامش والإحالات:

1. نازك سابيارد: الرحالة العرب وحضارة الغرب، ص7
2. ينظر: المرجان، محمد (2016)، الرحلة والمعرفة الكولونيالية، المغرب بعيون الرحالة الإسبان خلال القرن التاسع عشر ميلادي، الرباط، دار أبي رقرق للطباعة والنشر. ص5
3. باجو، دانييل هنري، ترجمة: غسان السيد، الأدب العام المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص91.
4. نازك سابيارد، مرجع سابق، ص9
5. بن صيام، سليمان، وابن علي الشريف، محمد السعيد، وولد قاضي، أحمد، وشعبان، محمد المدعو مصطفى، وابن الشيخ الفقون، بن محمد بن الحسن، خمس رحلات إلى باريز، ص17.
6. المصدر نفسه، ص19
7. المصدر نفسه، ص 20
8. المصدر نفسه، ص 20
9. المصدر نفسه، ص23.
10. المصدر نفسه ص24
11. ينظر: المصدر نفسه، ص37 و38.
12. المصدر نفسه، ص44
13. نازك سابيارد: الرحالون العرب وحضارة الغرب، ص22
14. بن صيام، سليمان، وابن علي الشريف، محمد السعيد، وولد قاضي، أحمد، وشعبان، محمد المدعو مصطفى، وابن الشيخ الفقون، بن محمد بن الحسن، خمس رحلات إلى باريز، ص56
15. المصدر نفسه، ص 123 124.
16. المصدر نفسه، ص129.

قائمة المصادر والمراجع:

1. باجو، دانييل هنري (1997)، الأدب العام والمقارن، ترجمة: غسان السيد، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
2. بن صيام، سليمان، وابن علي الشريف، محمد السعيد، وولد قاضي، أحمد، وشعبان، محمد المدعو مصطفى، وابن الشيخ الفقون، بن محمد بن الحسن، (2012)، خمس رحلات جزائرية إلى باريز، جمع وتقديم: د/علي تابلت، الجزائر، منشورات خمسينية جامعة الجزائر 2012/1962.
3. سابيارد، نازك، (1992)، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، بيروت، دار نوفل.
4. المرجان، محمد (2016)، الرحلة والمعرفة الكولونيالية، المغرب بعيون الرحالة الإسبان خلال القرن التاسع عشر ميلادي، الرباط، دار أبي رقرق للطباعة والنشر.